الباب الخامس
واجباتنا نحو كلام ربنا

الفصل الأول
واجبنا تجاه القرآن

شرف العلم بشرف المعلوم، وشرف العمل بشرف ما تعلق به وأشرف العلوم والأعمال ما كان متعلقًا بكلام ربنا ذي العزة والجلال إن واجبنا نحو القرآن عظيم كبير لا بد من القيام به حتى تستعيد الأمة مكانتها، وتنهض من رقدتها. فما ضاعت الأمة إلا حينما ضيعت أحكام الله من واقعها، وما ذلت وما هانت إلا حينما عطلت أحكام القرآن وأهملت حقوقه وهذا المبحث من أهم ما نذكره إذ يعد هو الثمرة المطلوبة والغاية المرغوبة من وراء هذا الكلام كله، وليس هذه مجرد كلمات تسطر، وورق يطوي وينشر. لابد أن يفقه كل منا واجبه نحو كتاب ربه ليسارع إليه ويحرص عليه ويطبقه وينفذه ويمتثل أمر ربه ونبيه ﷺ والموفق من وفقه الله اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم يا غني يا كريم.

من هذه الواجبات ما يلي:

أولًا - تعظيم القرآن وتوقيره[1]:

قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وأولى الشعائر بالتعظيم القرآن الكريم ومن تقوي القلوب تعظيم القرآن عند سماعه، وعند تلاوته وعند التحاكم إليه وذلك بحسن الإنصات وصدق الاستجابة والإقبال عليه بالقلب والعقل والروح وتدبره وفهمه وعدم الانشغال عنه بغيره حال التلاوة، وعدم وضع المصحف على الأرض، ووضعه في المكتبة في أعلى مكان وتكريم حملته قال

(١) سبق تفصيل الكلام في التدبر وهو من أهم واجباتنا نحو القرآن.

النبي ﷺ: إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانًا[٢] ومن تعظيم القرآن العمل على نشر أحكامه وزيادة حفاظه وإقامة حلق التجويد والتفسير وحث الناس على ذلك بكل سبيل ممكن. يقول الإمام النووي رحمه الله: أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته وأجمعوا على أن من جحد منه حرفًا مما أجمع عليه أوزاد حرفًا لم يقرأ به أحد وهو عالمٌ بذلك فهو كافر قال القاضي عياض: اعلم أن من استخف بالقرآن أو بالمصحف أو بشيء منه أو سبه أو جحد حرفًا منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفي ما أثبته وهو عالمٌ بذلك أو يشك في شيء من ذلك فهو كافرٌ بإجماع المسلمين[٣].

ومن تعظيم القرآن سرعة الاستجابة لحكمه والإذعان لأمره والانقياد له وعدم الاستكبار أو التفلت من شريعته المحكمة: ومن أهم ذلك فهم القرآن كما فهمه رسول الله ﷺ وكما فهمه الصحابة الكرام والسلف الصالحون من بعدهم.

ثانيًا- كثرة التلاوة والاستماع إليه:

من علامة حب العبد لربه شغفه بالقرآن وإقباله عليه وترنمه به والقيام به بين يديه جَلَّ جَلَالَه فما تقرب إنسان إلى ربه بشيء أحب إليه من كلامه، وعلى قدر هذا الحب يكون انشغال العقل والقلب واللسان بكلام الملك الرحمن. ومن أعجب العجب أن تسمع من أبناء هذه الأمة من يقول لأخيه وهو يحاوره: والله ما قرأت القرآن منذ ستة أشهر!! يا للعجب!! سبحان الله!! أي قلب هذا القلب؟! وأي عبد هذا العبد؟! وأي

---

(١) رواه أبو داود رقم [٤٨٤٣] يراجع صحيح الألباني في صحيح سنن أبي داود [٤٠٥٣].

(٢) رواه البخاري برقم [٤٦٤٢].

(٣) «التبيان آداب حملة القرآن» (١١٢-١١٣)، ط: دار التقويم.

روح تلك الروح؟! يا لها من غفلة ويا لها من خسارة!! لم هذا الخذلان؟! إنك قد تجد مثل هذا الإنسان مشغولًا بالتزهات والصحف والمجلات، ثم يضيع عمره وحياته فيما لا ينفعه غدًا بين يدي الله ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦].

لقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنه «اقرأ القرآن في كل شهر»[(١)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من لم يختم القرآن في شهر فقد هجره.

قال النووي رحمه الله: وكان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه فروى أبو داود عن بعض السلف أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة وعن بعضهم في كل شهر ختمة وعن بعضهم في كل عشر ليال وعن بعضهم في كل ثمان ليال وعن الأكثرين في كل سبع ليال وعن بعضهم في كل ست وعن بعضهم في كل خمس وعن بعضهم في كل أربع وعن كثيرين في كل ثلاث[(٢)] وقد ذكر النووي رحمه الله عن بعض السلف الكرام أن منهم من ختم في كل يوم وليلة ختمة ومنهم من ختم في كل يوم وليلة ختمتين ومنهم من كان يختم ثمان ختمات في كل يوم وليلة أربعًا بالليل وأربعًا بالنهار كل ذلك إن صح سنده فهو حسن إن أريد به مجرد التعبد لله بذلك والأولى والأقرب إلى السنة ألا يقل عن ثلاثة أيام قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[(٣)].

قال أبو الطيب شمس الحق آبادي: وهذا صريح في أنه لا يختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام[(٤)].

---

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٥٤]، ومسلم برقم [١٨٤].

(٢) «التبيان»، ص [٤٤].

(٣) رواه أبو داود [١٣٨٧]، والترمذي [٢٩٤٩] وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم [١٢٣٩].

(٤) «عون المعبود» (٤/ ١٩٥)، ط: التوفيقية.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أقل مراتب النهي أن تكره تلاوة القرآن كله في أقل من ثلاث. فما فقه ولا تدبَّر من تلا في أقل من ذلك، ولو تلا ورتل في أسبوع ولازم ذلك لكان عملًا فاضلًا، فالدين يُسرٌ فوالله إن ترتيل سبع القرآن في تهجدُ قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة والضحى وتحية المسجد مع الأذكار المأثورة الثابتة والقول عند النوم واليقظة ودبر المكتوبة والسحر مع النظر في العلم النافع والاشتعال به مخلصًا لله، مع الأمر بالمعروف وإرشاد الجاهل وتفهيمه، وزجر الفاسق ونحو ذلك مع أداء الفرائض في جماعة وخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان مع أداء الواجب واجتناب الكبائر، وكثرة الدعاء والاستغفار والصدقة، وصلة الرحم والتواضع والإخلاص في جميع ذلك لشغل عظيم جسيم ولمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين فإن سائر ذلك مطلوب ومتى تشاغل العابد بختمة في كل يوم فقد خالف الحنيفية السمحة، ولم ينهض بما ذكره ولا تدبر ما يتلوه[(١)].

والمقصود دوام التلاوة والمحافظة على ورد دائم في القراءة مع التدبر والفهم فأحب العمل إلى الله أدومه وإن قل، والصادق المخلص من جاهد نفسه حتى يثبت على هذه الطاعة العظيمة ويصبر نفسه عليها حتى يلقي ربه جَلَّ جَلَالَه فهيا أخي الكريم اصدق الله وحدد لنفسك وردًا ثابتًا من تلاوة القرآن ولا تكن ممن هجره وأعرض عنه فإن ربك جَلَّ جَلَالَه يقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فَاطِر: ٢٩].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤]، وفي صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي أن الحبيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»[(٢)].

---

(١) «السير» للذهبي (٣/ ٨٤)، ط: الرسالة.

(٢) رواه مسلم برقم [٨٠٤].

وقال ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»(١).

وقال ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»(٢).

وأكرر عن عمد قول عثمان رضي الله عنه: لو طهرت قلوبكم ما شبهت من كلام ربكم.

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله هو النور الشافي، وعصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد فاتلوه فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الم حرف ولكن ألف ولام وميم(٣).

إخوتي أحبتي: القرآن هو منبع الخيرات، ومصدر البركات، ومهبط الرحمات، وتلاوته من أفضل القربات، وأعظم الحسنات، الموصلة إلى أعلى الدرجات في نعيم الجنات. القرآن هو نور الدور والقصور، ونور القلوب والعيون فيا سعادة من جعل ديدنه ترتيله وشاغله تأويله، ويافوز من اتخذه إمامًا وهاديًا ومرشدًا. القرآن كلما ازداد تكراره ازداد تأثيره في النفوس وتطربيه للقلوب ذلك هو القرآن ولا شيء يشبهه في هذه الخاصية بين كتب الدنيا كلها وآداب الأمم والشعوب. فصلاح قلبك في تلاوة كلام ربك، ذهاب همك وغمك وكربك بإقبالك على القرآن، سعادة الدنيا والآخرة ونعيم الحياة بكثرة الترتيل والتدبر لكلام الله جَلَّ جَلَالَه.

---

(١) رواه الترمذي رقم [٢٩١٠] وصححه الألباني في المشكاة [٢١٣٤].

(٢) رواه أبو داود [١٤٦٤]، والترمذي [٢٩١٤] وحسنه الألباني في المشكاة [٢١٣٤].

(٣) «الزهد» لابن المبارك [٢٧٩]، والمصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٢) وهو صحيح موقوفًا على ابن مسعود ولا يصح مرفوعًا كما في «تحقيق فضائل القرآن» لأبي الفضل الرازي ص (٧٣-٧٤)، ط: دار البشائر.

ثالثًا- الحذر من هجره:

من أخطر الأمراض وأشد الآفات التي توهن الإيمان في القلوب وتضعفه ذلكم المرض الذي اجتاح كثيرًا من أبناء هذه الأمة في هذه الأيام ألا وهو هجر القرآن. وسببه وعلته استحكام الغفلة والغرق في متاع العاجلة ومن كان هذا حاله فهو مغبون خاسر جاهل غافل، محروم مخذول وإنما صرف وصدف عن القرآن بسبب معاص وسيئات أعمت قلبه وغيبت عقله، وعرقلت سيره إلى ربه وُزيِّن له سوء ما هو فيه من غفلة وإعراض ولو علم خطر ما جنى لفزع ولا نزجر عن سيئٍ ما صنع قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] وهجر القرآن ليس نوعًا واحدًا بل أنواع نذكرها من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم نعقب عليها بما يفتح الله جَلَّ وعلا.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هجر القرآن أنواع:

أحدهما- هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه .

الثاني- هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

الثالث- هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظيه لا تحصل العلم.

الرابع- هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

الخامس- هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠][1] وقد تقدم الحديث عن التدبر بما يغني عن الإعادة وأتوقف مع بعض أنواع الهجر في نقاط.

---

(١) «الفوائد» لابن القيم، ص [١٠١]، ط: دار إحياء الكتب العربية.

(أ) هجر السماع والإيمان به والإصغاء إليه:

إن المسلم الصادق حينما ينظر إلى واقع الأمة الحاضر ليتمزق قلبه من الألم وذلك من سوء حال كثير من الناس مع القرآن. فها هم يطربون بالألحان، وترى كثيرًا منهم ينفق الأموال من أجل استماع الغناء، في أفراحهم، وفي بيوتهم، وفي سياراتهم، وفي أسفارهم، في المستشفيات، والنوادي والمنتديات، وفي المطارات وفي أجهزة الجوال، وفي الفضائيات والإذاعات، إنها حمى تفتك بالإيمان وتصد عن سبيل الله واستماع القرآن كثير من الناس بالغناء يترنمون، وبه في كلامهم يستشهدون وبعض الغافلين عند همومهم وغمومهم إليه يهرعون وبه يتعزون ويأنسون فبئس ما يصنعون. هل الألحان وكلمات أولياء الشيطان أحب إلى هذه القلوب من القرآن؟! إننا نعرف حجم الخلل في نفوس شبابنا وفتياتنا من خلال شغفهم بالغناء وإعراضهم العجيب عن القرآن، وكثير ما يتنظر قلب المؤمنين حينما يري مفتونة أو مفتون بالغناء يلهثون وعلى نغماته يطربون وبهذا الخبث والفجور يعلنون، أفهذا يرضى الله جَلَّ جَلَاله؟! بالله أهذا يرضي رسول الله؟! في هذا المجلس من يحضر ملائكة أم شياطين؟! أهل الصلاة والإيمان أم أهل الغفلة والنسيان؟! هذا حال أكثر الأمة إلا من رحم الله فاللهم اكشف هذه الغمة عن الأمة وردها إلى كتابك ودينك ردًا جميلًا.

إخواني، لله در المؤمنين الذين يعمرون قلوبهم وأوقاتهم بكلام الله ربهم، لله در الصادقين الذين يلهجون بكلام الله في قلوبهم وأسفارهم!! لله در الصالحين فبيوتهم بالقرآن عامرة وأوقاتهم بتلاوته مشغولة ذاخرة، وقلوبهم بنوره مشرقة، ووجوههم بضيائه متألقة!! فأقبل أخي إلى كلام ربك، أسعد حياتك به، اسمعه، تدبره، اتله ورتله ولا تهجره، ومن أقبل إلى الله أقبل الله إليه ومن تقرب إليه بكلامه أحبه ربه وقربه إليه، اجعله آخر ما تتكلم به قبل نومك وأكثر ما تنطق به في يومك، وأعظم ما توقره في نفسك، وأكثر ما تسمعه في بيتك.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»[١] إن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ليس بيتًا وإنما هو قبر، قلب وعقل لا يقرأ القرآن فهو ميت خرب، كتاب لا يحتوي على آيات من القرآن فهو صفحات رخيصة لا تساوي المداد الذي كتبت به، خطبة لا تحتوي على آيات القرآن فهي بتراء ناقصة هزيلة ضعيفة فبالقرآن حياتنا ونورنا، بالقرآن قيمتنا ومنزلتنا فالقرآن هو السبيل الوحيد لسعادة الأمة كلها أفرادًا وجماعات لو كانوا يوقنون.

(ب) هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به:

قد يقرأ قارئ القرآن بل ويجوده ولكنه في نفس الوقت مخالف لحكمه، مرتكب لما يخالفه وكأنه يستكثر من حجة الله عليه! إن تعظيم الله وإجلاله لا يكون إلا بطاعة أمره والإذعان لحكمه وهل القرآن إلا حكم الله وقوله سبحانه؟ هل القرآن إلا بيان رباني للخلق كافة لما يجب أن يكونوا عليه ويتصفوا به؟!.

إن المتأمل في حال الناس يرى العجاب في هذا الباب قد يقرأ أو يسمع كثير من الناس قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١] وهم مع ذلك يعيبون إخوانهم ويلمزون وبالألقاب يتنابزون! وقد يقرءون ويسمعون قول ربهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩] وكثير منهم مع ذلك يأكلون الربا أو يضعون أموالهم في البنوك الربوية فيستجلبون بذلك وعيد ربهم! قد يمسك أحدهم بالمصحف يتلوه ويقرؤه أمام الناس ولكنه من أكلة الربا فهم به يتعاملون وللناس يظلمون فبئس ما يصنعون!.

---

(١) رواه مسلم برقم [٧٨٠].

وقد يقرأ قارئ قول ربه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١] ولكنه مع ذلك خائن في عهده ناقض لعقوده مخلف لوعده! قد يقرأ أو يسمع ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور:٣١] وهو مع ذلك يطلق بصره ويتلصص بعينه ويخون بها ربَّه ويؤذي بها نفسه والأمثلة كثيرة مشهورة في القرآن كله. ومن سوء الأدب مع الله جَلَّ جَلَالَه أن يسمع المرء كلام ربه بأذنه أو يتلوه بلسانه ثم يخالفه بعمله وقلبه وحاله. فيالها من غفلة! ويا له من إعراض وهجران لكتاب الله!! اللهم خذ بنواصينا إلى ما يرضيك عنا واجعلنا ممن استجاب لأمرك وأذعن لحكمك يارب.

رضيت بك اللهم ربًا وخالقًا ... وبالمصطفى المختار نورًا وهاديًا
فإما حياة نظم الوحر سيرها ... وإلا فموتٌ لا يسُر الأعاديا

(جـ) هجر تحكيمه والتحاكم إليه:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٤٩-٥٠] وهنا نريد أن نقف مع أنفسنا نحن كأفراد لننظر مدى تحاكمنا إلى شرع ربنا واستجابتنا لحكمه حتى ولو كان الحق علينا لغيرنا فالواجب حينئذ امتثال حكم الله وإيثاره على هوى النفس فربنا جَلَّ جَلَالَه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ﴾ [النساء:١٣٥].

وتعالوا ننظر إلى واقع حياتنا ومدى تحاكمنا إلى شرع ربنا جَلَّ جَلَالَه. إن كثيرًا من بيوت المسلمين اليوم تقوم بتوزيع المواريث وفق الأهواء والأعراف فيعرضون عن حكم الله وأمره، وكثير منهم إذا تحاكم إلى شرع الله فحكم به على ما يخالف هواه يكون في صدره

حرج من حكم ربه! أليس بل يخالفه ويرفضه ويأباه وقد يدخل في معارك ومنازعات من أجل أن يأخذ حقًا ليس له في شرع الله هذا في واقع الناس اليوم؟! وكثيرون آخرون يتحاكمون إلى قوانين البشر برغبة واختيار وذلك إذا أحسوا أنها تعطيهم فوق حقهم وتذهب بذلك غيظ قلوبهم بالتشفي من الخصوم فإذا انتهب أحدهم حقًا ليس له ولي به كأن الحق حقه وهو في الحقيقة سحتٌ ونار.

بل تعالوا نلمح إشارة من ذلك في البيوت وذلك في حالات الطلاق كثير من الناس لا يعرف كيف يطلق أقصد ما هي السنة والشرع في الطلاق أي متى يطلق؟ وما هي الأحكام المترتبة على الطلاق؟ أو ليس الرجل يطلق امرأته في أي لحظة من لحظات الغضب على أي حالٍ كانت طاهرًا أو حائضًا أو في طهرجامعها فيه؟! أو ليست إذا طلقت خرجت أو أخرجت من بيت زوجها إلى بيت والدها؟ كل أولئك يحدث في واقعنا وهذا ضد الشرع وخلاف حكم الله وأمره.

الطلاق الصحيح الذي يوافق شرع الله أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه ثم إذا طلقت لا يجوز أن تخرج أو تخرج من بيتها حتى تنقضي عدتها. والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

[الطلاق: ١]

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله تعالى ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: الطهر من غير جماع وروي عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها

تطليقة ثم يقول الحافظ: ومن ها هنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملًا قد استبان حملها، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدري أحملت أم لا، وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها ثم يقول في قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ أي في مدة العدة لها حق السكني على الزوج ما دامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضًا الخروج لأنها معتقل لحق الزوج أيضًا ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا وتشمل إذا ما نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ أي إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسرو أسهل[1].

أقول: وكثير من البيوت التي تهدمت وتندمت وسبب الخلل فيها عدم تحاكمها إلى كتاب الله جَلَّ جَلَالَه، ولو تحاكمنا إلى كتاب ربنا لوجدنا فيه كل يسر ورحمة أرأيت لو التزم الرجل بهذا الحكم حينما أراد أن يطلق وفي أغلب الأحوال لا تكون في طهر لم يجامعها فيه وإنما تكون حائضًا أو في طهر أصابها فيه فإذا كان كذلك لزمه أن يصبر ويمسك عن إصدار القول بالطلاق حتى تطهر إن كانت حائضًا أو حتى تحيض ثم تطهر إن كانت في طهر جامعها فيه أو ليس في إمساكه هذه المدة رد إلى العقل والحكمة وإبعادٌ له عن العجلة التي تجر الندامة الشديدة التي نراها في وجوه هؤلاء من الصنفين، إنه إذا تأنى وصبر وزال عنه غضبه ورجع إلى رشده فحينئذٍ يكون طلاقه بعد تفكر ورؤية وقلما يطلق بعد ذلك. وإن طلق الرجل زوجته فلا بد أن تبقي معه في بيت الزوجية مدة العدة

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير(٨/ ١١٣- ١١٤) باختصار واقتصار على موطن الشاهد.

وهذا كله مدعاة لميل قلبه إليها وميل قلبها إليه وسبيل لعودة الحياة الزوجية إلى مسارها من جديد فسبحان الحكيم الخبير الذي شرع لعباده ما يكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة.

نعم إخوتي، إنه لا بد من أن نتحاكم نحن أولًا كأفراد إلى كتاب الله جَلَّ جَلَاله فمسئوليتنا تجاه أنفسنا أكبر والسؤال عن ذلك بين يدي الله سيكون هو الأولى والأخطر فإذا كنا كذلك ودعونا إلى ذلك بحكمة ورحمة حلت أنوار القرآن وبركاته على المجتمع كله وذلك لأنه قد وجدت فيه قدوات صادقة تتحقق فيها معالم الحق عملًا وحالًا ودعوة ودلالة إنه متى تنكبت الأمة عن سبيل القرآن فلن تجنى من ذلك إلا الذل والهوان، لن تحصل من ذلك إلا على الانهزامية والخذلان ولا عزة ولا كرامة ولا رفعة ولا تمكين إلا بالعودة الصادقة لكتاب رب العالمين فاللهم ردنا إلى دينك وكتابك ردًا جميلًا، وهيئ لنا ما يرضيك عنا وخذ بنواصينا إلى الحق والهدى.

(د) هجر الاستشفاء القرآن:

القرآن هو أعظم شفاء وأنجع دواء. هو شفاء لأمراض القلوب والأبدان، ليس عندنا في ذلك ذرة شك لأن الذي أخبر بذلك هو رب كل شيء جَلَّ جَلَاله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: من هنا لبيان الجنس لا للتبغيض فإن القرآن كله شفاء فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب. فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن[1].

ثم ساق ابن القيم حديث أبي سعيد الخدري في رقية الصحابي للرجل اللديغ بفاتحة الكتاب وحصول الشفاء له ثم قال: فقد أثر هذا الدواء في الداء وأزاله حتى كأن لم يكن وهو أسهل دواء وأيسره ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لوجد لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء فكنت أعالج نفسي

(١) «الداء والدواء»، ص [٧]، ط: دار ابن رجب.

بالفاتحة فأري لها تأثيرًا عجيبًا فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا فكان كثير منهم يبرأ سريعًا. ولكن ها هنا أمرٌ ينبغي التفطن له وهو أن الأذكار والآيات و الأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضاء أثره فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول فكذلك القلب إذا أخذ الرقي والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة في إزالة الداء.

نعم، القرآن هو الشفاء الأعظم لأمراض القلوب والأبدان والأرواح ولكن يحتاج الاستشفاء به إلى يقين وعدم وجود مانع ومتى توفر ذلك حصل الشفاء سريعًا بالقرآن بإذن الله[1] وأثناء كتابتي لهذه الكلمات سمعت طبيبًا من ثقات الأطباء يقول: هذه امرأة تخجلنا نحن الرجال قمت بإجراء عملية من عمليات القلب لابنها الذي بلغ من العمر عامين ونصف، وبعد انتهاء هذه العملية بيومين إذ به يصاب بنزيف حادٍ في القصبة الهوائية أدى هذا النزيف إلى توقف القلب لمدة أربعين دقيقة، فقال لها الزملاء من الأطباء: لا فائدة إن هذا الطفل من المحتمل أن يكون قد مات دماغيًا، ولم يعد ثمة أمل في شفائه فقالت المرأة: الشافي هو الله أسأل الله ربي إن كان في شفائه خير أن يشفيه. ثم أخذت مصحفها وجلست بجوار ولدها تقرأ عليه القرآن بنية الشفاء واستمرت على ذلك بدون توقف إلى أن كانت المفاجأة فقد بدأ الولد يتحرك وعندما تحرك حمدنا الله على ذلك. وفي اليوم التالي أصيب الطفل بنزيف شديد وتوقف قلبه ويكون موقف المرأة نفس الموقف إذ تواصل رقيته بالقرآن وتستمر في ذلك وتكرر هذا النزيف ست مرات

(١) السابق، ص [٨].

ويقال لها في كل مرة: إن ابنك قد مات دماغيًا، وهي تقول في كل مرة: الله ربي هو الشافي ثم تنصرف وتقرأ عليه القرآن.

وبعد أن سيطر الأطباء على النزيف في القصبة الهوائية وذلك بعد ستة أسابيع إذا ببلاء جديد حيث يصاب الطفل بخرَّاج كبير والتهاب في المخ فقلنا في هذه المرة: لقد مات فقالت المرأة: الله ربي هو الشافي ثم انصرفت وجعلت تقرأ عليه القرآن فبرأ الطفل من هذا الخراج بإذن الله وذلك بعد أسبوعين!.

بعد ذلك أصيب بالتهاب حاد في الكلية أدى إلى فشل كلوي كاد أن يميته وإذ بالمرأة تردد أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيه، ثم تقرأ عليه القرآن من المصحف وفي أثناء ذلك تخدمها الممرضات ويقدمن لها الشاي والقهوة وهي مشغولة ومستغرقة في قراءة القرآن بنية الرقية على ولدها، وما كنا نعرف منها إلا الذكر والدعاء وبعد أن تحسنت حالة ولدها وبعد مرور أربعة أشهر من إجراء العملية إذ بهذا الطفل يصاب بمرض عجيب لم أره من قبل في حياتي قط حيث أصيب بالتهاب شديد في الغشاء البلوري في القلب فقمنا بفتح صدره وترك الصدر مفتوحًا لنخرج الصديد وليتعرض القلب للهواء. وأم الطفل ما فترت ولا انقطعت من قراءة القرآن على ولدها من المصحف، وبعد أن بقي مدة في غرفة الإنعاش حُوِّل إلى قسم الأطفال ثم خرج بعد ذلك من المستشفي مع والديه ما شيًا على قدميه يرى ويتكلم ويتحرك كأن لم يكن به مرض من قبل قط.

هذا المشهد على طوله يبين ثقة هذه المرأة ويقينها في أن القرآن هو الشفاء الأعظم فما أحوج الأمة إلى تعلم هذا الدرس!

لذا نقول: قبل أن تفكر في الطبيب المشهور الحاذق لتكن عندك الثقة في أن القرآن فيه شفاء مرضك فارق نفسك أو مريضك ولا بأس من عرض المريض على الطبيب

لكن الذي ينبغي أن يقدم على ذلك الاستشفاء بكلام الله ورقية النفس والأولاد والأهل بكلام الله فهو أعظم وأكمل شفاء. فاستشف بكلام ربك تجد الشفاء عاجلًا محققًا بإذن الله جَلَّ جَلَالَه.

رابعًا- حفظه أو حفظ ما تيسر منه:

من أعظم النعم التي يؤتيها الله لعبده أن يرزقه حفظ القرآن ثم يوفقه للعمل به ولذلك فإن الموفقين الصادقين من المؤمنين يحرصون أشد الحرص على حفظ القرآن وتعلمه ولقد امتن الله على رسوله بإنزال هذا القرآن العظيم وجعله محفوظًا في الصدور كما في الحديث القدسي إذ يقول ربنا العظيم العلي لحبيبه المصطفى النبي ﷺ: «**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء**»(١).

أي أن الماء لا يمحوه لأنه محفوظ في الصدور يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي لو غسل المُاء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل لأنه قد جاء في الحديث الآخر «لو كان القرآن في إهاب ما أحرقته النار»(٢).

ولأنه محفوظ في الصدور ميَّسر على الألسنة مهيمن على القلوب معجز لفظًا ومعني ولهذا جاء في الكتب المقدمة في صفة هذه الأمة: أنا جيلهم في صدروهم(٣).

وقال الله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٨-٤٩]

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٨٦٥].

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٣٠٩)، وأحمد (٤/ ١٥١) وقال الحويني: الصواب في هذا الوقف كما في «تحقيق فضائل القرآن»، ص [٣٠٣].

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٦/ ١٥٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما حفظ جميع القرآن وفهم جميع معانيه ومعرفة جميع السنن فلا يجب على كل أحد لكن يجب على العبد أن يحفظ من القرآن ويعلم معانيه ويعرف من السنة ما يحتاج إليه[1].

فأقبل يا عبد الله على حفظ كلام ربك فوالله لأن تلقاه وأنت تحفظ كتابه خير لك ألف مرة من تلقاه وفي يدك أعظم الشهادات أو أكثر الأموال فالقرآن هو الذي ينفعك ويرفعك ويعزك في الدنيا والآخرة

احفظ القرآن تزدد حبًا لربك ويزدد حب الله لك، احفظ القرآن تعظم مكانتك بين الخلق وترتفع درجتك في الجنة، احفظ القرآن تنعم به في العاجلة والآخرة وترتقي أخلاقك وتهذب مشاعرك ويزداد إيمانك ويقوم منطقك وتقوي حجتك، وتزداد من الله قربًا فإذا رمت حفظ القرآن وصدقت النية في ذلك فهذه بعض النصائح المختصرة والوصايا المنتقاة التي تيسِّر لك حفظ كتاب الله والموفق من وفقه ربه ومولاه.

١- صدق العزم وإخلاص النية والحرص على ذلك بحب وشغف.

٢- صحِّح نطق الآيات بالقرآن على قارئ متقن أو بالاستماع إلى الآيات في المصحف المرتل.

٣- حدد نسبة للحفظ كل يوم حتى تلزم نفسك بذلك المقدار.

٤- لا تجاوز مقررك اليومي حتى تجيد حفظه تمامًا.

٥- لا بد أن يكون لك وردٌ من القراءة والتلاوة يوميًا فإن التلاوة وقود الحفظ وسبيل ليسره وقوته.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٩١)، ط: دار عالم الكتب.

٦- ليكن حفظك في طبعة واحدة لا تغيرها حيث يرتسم موضع الآيات في ذهنك ويتحدد فيه ويكون الحفظ أسهل.

٧- الفهم طريق الحفظ فافهم الآيات يسهل عليك حفظها.

٨- لا تجاوز سورة إلى أخرى حتى تربط أول السورة بآخرها وتتقن حفظها.

٩- لا بد من ورد ثابت في المراجعة اليومية وتسميع ذلك عن ظهر قلب.

١٠- لابد لك من شيخ تسمع عليه ما حفظت ويكون ذلك أدعى للاستمرار والاهتمام وعدم الانقطاع ولو لم تجد شيخًا فسمع على أخ من إخوانك فإنه لا بد من ذلك.

١١- الاهتمام بالآيات المتشابهة ومعرفة الفروق بينها ويمكن الاستعانة في ذلك بما كتب في هذا الصدد ككتاب (عون الرحمن) للشيخ الفاضل أبي ذر القلموني حَفِظَهُ اللهُ.

١٢- القيام بالآيات التي تم حفظها وصلاة النوافل بها فإن هذا طريق لتثبيت الحفظ تقويته.

١٣- الصبر والثبات على ورد الحفظ وورد المراجعة وورد التلاوة ومن يتصبر يصبره الله.

١٤- الإلحاح في الدعاء على الله عَزَّ وَجَلَّ أن يزرقك حفظ القرآن وأن يوفقك إلى ذلك فاستعن بالله يعنك واستمده من فضله يمددك.

١٥- اغتنام أوقات الفراغ في المراجعة والتسميع على زميل أو رفيق أو صديق أو زوجة أو قريب.

١٦- حفظ غيرك ما حفظته فإن ذلك من أسباب رسوخ الحفظ وقوته.

١٧- كثرة السماع والإنصات إلى القرآن، وتحريك اللسان مع القارئ بالآيات.

١٨- اغتنام سنوات الحفظ الذهبية من سن الخامسة إلى الثالثة والعشرين وإن فات ذلك السن فقد بقي الأمل كبير فاحفظ واثبت على ذلك مهما كان عمرك وسنك وليس حفظك للقرآن على الله بعزيز فاصدق الله يصدقك.

١٩- ترك الذنوب وصدق التوبة وفي ذلك يقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتاه عاصي

فحرمان العلم والرزق يكون بسبب الذنوب كما أن التقوي تكون سببًا في العلم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

٢٠- احذر الحسد وكثرة الكلام عن حفظك ومقداره فإن العين حق.

٢١- اصحب الصالحين واقتد بالحافظين المتقين واصحب من يدلك على الخير ويحثك عليه ويدفعك إليه وينفعك في دينك[١].

٢٢- يمكنك أن تكرر الآيات قراءة قبل أن تنام عشر مرات ثم تقوم في الصباح.

٢٣- لو كنت تحفظ في سورة يوسف مثلًا وتريد أن تحفظ بعدها سورة الرعد عليك أن تقرأ سورة الرعد قبل الدخول في حفظها كل يوم ثلاث مرات وهكذا سورة إبراهيم وما بعدها فإن هذا مما يسهِّل الحفظ جدًا.

٢٤- متى حفظت شيئًا لا تغفل عن مراجعته بل عليك أن تتعاهده بمدوام المراجعة والتسميع والصلاة في الليل ونوافل النهار.

٢٥- من أين أبدأ الحفظ؟ ابدأ بصغار السور فإن ذلك أسهل وحفظها أسرع وأيسر وقِصَر السور يساعد على الربط بين الآيات وبدرب الذاكرة ويؤهلها لحفظ السور الطوال.

---

(١) أكثر هذه القواعد مستفادة من كتاب «القواعد الذهبية في حفظ القرآن» لعبد الرحمن عبد الخالق، وكتاب «ابن الإسلام» الجزء الأول للشيخ/ يعقوب ط: دار التقوى.

خامسًا- وجوب العمل بما علم منه:

يجب على من علم القرآن أن يعمل به فإن ذلك هو الثمرة المقصودة من وراء العلم. وعلم بلا عمل يضر ويغر ولا ينفع وقد قص الله علينا خبر الذي علم شيئًا من آيات الله ولم يعمل بها ومثل له بأقبح مثال وأشنعه تنفيرًا من فعله وبيانًا لقبحه قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، وقال سبحانه عن اليهود: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وما من مسلم لم يعمل بالقرآن من هذه الأمة فإن القرآن يكون حجة عليه[1].

قال الحسن البصري: رحم الله رجلًا خلا بكتاب الله وعرض نفسه عليه فإن وافقه حمد ربه وسأله المزيد من فضله، وإن خالفه تاب وأناب ورجع من قريب. وقال بعض الحكماء: أفضل العلم وقوف العالم عند علمه.

سادسًا- الفزع إليه عند الفقن واستلهام الثبات من آياته:

القرآن أمان من كل فتنة من اعتصم به وقرأ آياته بفهم وتدبر نجاه الله وصرف عنه السوء والبلاء وجعل حزنه سرورًا وقلقه طمأنينة يقول الفوزان حفظه الله: إذا

(١) «كتاب الله ومكانته العظيمة» للشيخ عبد العزيز آل الشيخ [٣٠-٣١] ط: الرئاسة العامة للبحوث العلمية.

قرأت القرآن بتدبر وتمعن وحضور قلب وتفكر في معانيه فإنه يزيل عنك أوهامًا كثيرة ووساوس عظيمة ويبعث في قلبك الطمأنينة ويقوي فيك الإيمان وكلما أكثر الإنسان من تدبر هذا القرآن فإنه يزيد إيمانه ويزيد يقينه ويطمئن قلبه ويزيد علمه وفقهه، وإذا أعرض عن القرآن فإن قلبه يقسو ويمرض وفي النهاية يغفل فلا يصل إليه الهدي ولا النور عقوبة له والعياذ بالله وهذا كله بسبب عدم تدبر القرآن(١).

إذا اشتدت الفتن وأحاطت بالمؤمن المحن فإنه يفرغ إلى ربه يدعوه ويتضرع إليه ويتلو كلامه ويتدبره ويرى حقائق الوجود بفهمه للقرآن فيحدث له ذلك بصيرة وثباتًا، ونورًا ويقينًا فنعم ما تأنس به وتنعم به القرآن الكريم كلام رب العالمين جَلَّ جَلَاله!.

سابعًا- الدعوة به وإليه:

المؤمن الصادق جندي للحق حيث كان، نطقه وكلامه وحديثه دعوة إلى الله، وإقامة لحجة الله على خلقه وتبصرةٌ للناس بحقيقة وجودهم في الحياة، وهدايتهم إلى ربهم وسبيله لا يكون إلا بالقرآن فهو أقوى حجة وأظهر برهان قال الله جَلَّ جَلَاله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فكان من حكمة الله إنزال القرآن إنذارًا للخلق جميعًا به. وقال الله تعالى ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] وقال الله جَلَّ وعلا ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] وقال الله سبحانه وتعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧] لابد أن تكون أيها الحبيب داعية إلى القرآن معينًا للناس في تعلمه مشجعًا لهم على ذلك ولابد أن تكون داعية بالقرآن فيكون هو عدتك وزادك في دعوتك وحينئذ لابد أن تفقه أنت أولًا معانيه وتعتبر بعظاته وتأنس بتلاوته في الليل والنهار وتعلمه غيرك وتستخدم الآيات دواء

(١) تدبر القرآن الكريم للشيخ صالح الفوزان، ص [٣٢]، ط: دار الإيمان قلت: ولابد من فهم القرآن بفهم الرسول ﷺ وأصحابه فهم الأعلم بتأويله وعليهم نزل وبه عملوا ولا يستقيم للمرء فهم القرآن إلا بفهم السلف.

لمذنب غافل أو حجة على معاند جاحد أو بيانًا لحائرتائه وإن أبرك الدعوات وأعظمها أثرًا ما كانت بالقرآن واستمرت على القرآن ومعه سنة النبي محمد ﷺ شارحة وموضحة لمعانيه فكن أهلًا لحمل الأمانة وبلاغ رسالة الله إلى خلقه فأحب خلقه إليه من دلَّ خلقه عليه وحببه إليهم وحببهم إليه.

ثامنًا- النصيحة له:

عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(١).

يقول النووي رحمه الله: قال العلماء رحمهم الله: النصيحة لكتاب الله تعالى هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاغنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحة(٢).

ويقول رحمه الله: ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه إكرام قارئه وطالبه، وإرشاده إلى مصلحته والرفق به ومساعدته على طلبه بما أمكن وتأليف قلب الطالب وأن يكون بتعليمه في رفق متلطفًا به ومحرضًا له على التعلم وينبغي أن يذكره فضيلة ذلك ليكون سببًا في نشاطه وزيادة في رغبته ويزهده في الدنيا ويصرفه عن الركون إليها والاغترار بها(٣).

---

(١) رواه مسلم برقم [٥٥].

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن»، ص [١١٢]، ط: دار التقويم.

(٣) السابق، ص [٣٢].

نريد أن نرى جدية في نشر القرآن واهتمامًا بتعليمه وحرصًا على تعظيمه وتعظيم الناس له إن المرء ليعجب حينما يري من يهتم بدروس الإنجليزية والفرنسية والرياضيات ويبذل من أجل تعليمها لولده الأموال الكثيرة وفي الوقت ذاته يبخل عن تعليم ولده كتاب الله ويتبلَّد إحساسه حينما يري ولده مقصرًا أو جاهلًا بالقرآن فيا له من خلل!! ويا له من خطر!! حينما يقدم شيء على القرآن ويكون هو الأولي بالحرص والاهتمام فبئس الوالد والولد! ونعوذ بالله من الخذلان اللهم ارزقنا حسن الأدب مع كتابك العظيم.

تاسعًا- التأدب حال تلاوة القرآن وسماعه:

من تعظيم شعائر الله جَلَّ جَلَاله حسن الأدب مع كتابه العظيم حال تلاوته وتدبره. وعنوان المرء حسن أدبه وأولى ما استعمل معه الأدب كلام الله جَلَّ جَلَاله وذلك دليل وبرهان على التقوي وصدق الإيمان وهذه بعض الآداب التي يُتحلى بها عند تلاوة القرآن أو سماعه نذكرها في نقاط مختصرة كما يلي:

١- استحباب قراءة القرآن على طهارة.

٢- أن يقرأ في مكان نظيف شريف كالمسجد وغيره هذا هو الأولى، ولكن لا ينبغي أن تترك تلاوة القرآن في حال السفر والسير وغير ذلك من الأحوال.

٣- استقبال القبلة وخشوع الجوارح وتجنب كثرة الحركة والالتفات فهذه أمور مستحبة حال القراءة.

٤- الاستعاذة قبل البدء في التلاوة.

٥- جودة الترتيل وإعطاء الحروف حقها وعدم تمطيطها واللحن فيها.

٦- تحسين الصوت بالتلاوة مع حضور القلب والتفهم والتدبر والبكاء ومعايشة المعاني.

٧- تنظيف الفم بالسواك وعدم العبث بالبدن أو الثياب أو الأسنان وغير ذلك.

٨- تجنب وضع المصحف في مكان لا يليق به وإنما يوضع في مكان نظيف شريف.

٩- تجنب جعل المصحف حافظة للأوراق كأن المحفوظ فه أهم وأعظم قيمة.

١٠- عدم تعريضه للامتهان كأن يلعب به الأطفال أو يكتبون فيه ويمزقون أوراقه وحرق الورق المكتوب فيها قرآن أولى من تركها للامتهان. اللهم ارزقنا حسن الأدب مع كتابك يا رب.

عاشرًا- القيام به في الليل بين يدى الله:

المحبون الصادقون إلى ربهم يتقربون لا سيما إذا نامت العيون وهدأت الجفون وعم في الكون السكوت ها هو برهان صدقهم وإخلاصهم حيث تراهم في الليل يتهجدون ومع طيب التلاوة يسهرون وبآيات الله يترنمون وترق قلوبهم ويبكون، فلله ردهم ونعم ما يعملون! اختارهم ربهم واجتباهم ووفقهم من بين الناس واصطفاهم ليكونوا أهل قربه وحبه والتبتل إليه، وقد قال الله لرسوله محمد ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء:٧٩] وقال جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل:١-٥] وقال تعالى ﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴾ [آل عمران:١١٣].

والقيام بالقرآن في الليل من أهم الأسباب التي تثبت الحفظ وتحقق التدبر وتستجلب الدمع، وتكون أدعى لتحقيق الخشية والخشوع وغرس الإخلاص في القلوب.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: أول ما ينقص من العبادة التهجد بالليل ورفع الصوت فيها بالقراءة.

وقال الشيخ عطية سالم رحمه الله: وقد سمعت الشيخ يقول: لا يثبت القرآن في الصدر ولا يسهل حفظه وييسر فهمه إلا القيام عبد الله بن عمرو-وهو يقرأ في المصحف فقال: هذا حزبي الذي أريد أن أقوم به الليلة وهو به في جوف الليل.

وعن خيثمة قال: انتهيت إليه يعني قال: عبد الله بن عمرو - وهو يقرأ في المصحف فقال السري السقطي: رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل.

يارب :

لَأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ... ولتَخْذُمَّنك في الدَّجي أركاني

وَلَأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا ... وَلَأَشْكُرَنَّك سَائِرَ الأحيانِ

وَلَأَكْتُمَنَّ عَنِ البريةَّ خُلَّتي ... وَلَأَشْكوَنَّ إليك جَهْدَ زَماني

وَلَأَقْصَدنَّكَ في جَمِيع حَوَائجِي ... مِنْ دون قصد فلانةٍ وفلاني

وَلَأَحْسمَنَّ عن الأَنَامِ مَطَامِعي ... بُحسَام يَأسٍ لَمْ تَشَبْهُ بنان

وَلَأَجْعَلَنَّ رضاكَ أَكْبَرَ هَمِتي ... وَلَأَضربنَّ من الهوى شيطاني

وَلَأَكْسُوَنَّ عُيُوبَ نَفسي بِالتَّقى ... وَلَأَقْبِضَنَّ عَن الْفجُور عَنَاني

وَلَأَمْنَعَنَّ النَّفْس عَنْ شَهَواتَها ... وَلَأَجْعَلَنَّ الزُّهْد مِنْ أَعْوَاني

وَلَأَتْلَوَنَّ حُروفَ وَحْيكَ في الدُّجى ... وَلأحرقَنَّ بنُوره شَيطْاني

أَنْتَ الذي يَارَبّ قُلْتَ حُرَوفَه ... وَوَصَفْتَه بِالْوَعظ والِّتبْيانِ

ونَظَمْتَهُ بِبَلاغَةَ أَزلِيَّة ... تَكْيِيفُها يَخْفَيَ عَلَى الْأَذْهَانِ

وَكَتَبْتَ في اللَّوحِ الْحَفيظِ حُرُوفُه ... مْن قَبْل خَلْق الْخَلْق في أَزْمَانِ

فَاللهُ ربي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا ... حَقًا إِذَا مَا شَاءَ ذو إِحْسَانِ